فقد لعبت اسرة بشوفسهايم دورا هاما في انشاء شبكات السكك الحديدية في اوروبا، وقدمت أكبر سلفة الى الخديوي اسماعيل ، حاكم مصر الارعن. وكانت تمتلك المصارف في كل من الاستانة والقاهرة ولندن وسان فرانسيسكو . وقد قضى هيرش فترة تدريبه في المؤسسات المالية التي امتلكتها أسرة زوجته ، ووجد في كلارا خير عون على تحقيق طموحه المالي ، وذلك لتمتعها بحدة الذكاء وقوة الشخصية . ولما كانت قبل زواجها قد عملت سكرتيرة خاصة لابيها البنكير الكبير ، فقد ألمت بشؤون المال ، ولذا أصبحت سكرتيرة زوجها ومستشارته في اعماله .

عاش موريس هيرش في عصر تميز بأمرين ، هما : نشوء الرأسمالية على انقاض الاقطاعية الموروثة عن القرون الوسطى ، وانتقال اوروبا من عصر الحكم المطلق الى العهد اللبرالي . فان الثورات التي انتشرت كالحريق في دول اوروبا عام ١٨٤٨ ، وأسقطت بين من أسقطت ، البرنس ميترنيخ ، مستشار النمسا الشهير ، وشيخ الرجعيين في القارة ، هذه الثورات عممت التفكير اللبرالي بين الشعوب ، وبالتالي أعانت اليهود على نيل حقوقهم المدنية . ثم ان الثورة الصناعية التي كانت قد اخذت تغير وجه المجتمع الانكليزي في القرن الثامن عشر ، امتدت الان الى اوروبا الغربية . فتأسست المصانع ، وتكاثرت البنوك ، ومعظمها من النوع الذي تسيطر عليه عائلة واحدة هي عموما يهودية والمانية اللغة . وواكبت الثورة الصناعية التي انجبت الرأسمالية ، عصر استخدام البخار كطاقة محركة. فانتشرت شبكات السكك الحديدية في القارة ، وكان المقاولون الذين أشرفوا على انشاء وتشغيل هذه الخطوط هم عموما من أصحاب البنوك اليهود ، كآل بشوفسهايم في بلجيكا ، وآل روتشيلد في فرنسا ، وآل غنزبرغ في اوروبا الشرقية ، الخ...

وبدأ اول ظهور للبارون هيرش على مسرح المال عندما أصبح أحد الاشخاص القلائل الذين تمكنوا من خداع بسمارك ، مستشار بروسيا الحديدي . فقد ذهب ليقابل بسمارك ويبين له الفوائد الاستراتيجية والسياسية لبروسيا ، اذا ما هي حصلت على حقوق تشغيل خط لوكسمبرغ الذي كانت الحكومة الفرنسية قد تخلت عنه بسبب خسارته . فلما استمال بسمارك الى فكرته ونال موافقته ، توجه الى باريس ، غريمة برلين ، وعرض عليها تحمس بسمارك للسيطرة على خط لوكسمبرغ . وفورا دخلت الحكومة الفرنسية في اتفاقية مع هيرش حول الخط المذكور ، لتحول بين بسمارك وتحقيق مأربه . وكانت هذه الاتفاقية مربحة جدا لهيرش ، الا ان بسمارك لم يغفر له حيلته قط ، وان لم يتمكن ابدا من ان يجعله يدفع الثمن عليها .

وكان هيرش قد انتقل للسكنى في بروكسل حيث حصل على الجنسية البلجيكية (وهي الجنسية الثانية من أصل اربع جنسيات حصل عليها هيرش في حياته) والسبب الذي يذكره مؤرخ سيرته لهذا الانتقال من ميونخ ، هو رغبة حماة هيرش البلجيكية في ان تكون ابنتها قريبة منها . وفي بروكسل دخل هيرش في شراكة مع بلجيكي يدعى الكونت لانغران دومونسو . وكان هذا الممول غير اليهودي قد ولد في اسرة مغمورة ، الا انه تمكن من شق طريقه بنجاح كبير في عالم المال ، ولا سيما بعد ان اقنع البابا بيوس التاسع (الذي أنعم عليه بلقب الكونت) بأن يساعده في تأسيس سلسلة من الشركات والمؤسسات برأس مال كاثوليكي ، وذلك لانتزاع السيطرة الرأسمالية من أيدي اليهود ونقلها الى الكاثوليك . وفعلا تمكن دومونسو من تأسيس امبراطورية مالية كبرى ، ضمت حوالي ٣٢ مصرفا ومؤسسة للرهونات والتأمين والعقار . ولكن الغريب العجيب هو ان هذا الرأسمالي الكاثوليكي الكبير ، الذي أساسا بنى